جَدَل التّأثير والتَّأثّر بين علوم الوَحْيَيْن واللغة العربية

"The Issue of the Reciprocal Effects of Revelation and Arabic Language"

حسن الخطاف*

Abstract: Since Sharī'ah has been basically revealed on the Prophet (Peace Be upon Him) in Arabic, the language has become the means and tool to understand its primary sources: Qur'ān and Sunnah, and their related disciplines like the sciences of Qur'ān and Sunnah. In fact, both Qur'ān and Sunnah have influenced and enriched the Arabic language and the latter influenced the interpretations of the formers. The paper comes to highlight this reciprocal influence and locate its manifestations, which calls for attention to these two sciences: the sciences of Qur'ān and the sciences of Sunnah. The most prominent of the sciences of the Qur'ān, however, is the science of Tafseer and Qirā'at (Recitations), while the prominence science of Sunnah is Mustalah al-Hadīth (Terminology of Hadīth) along with its interpretations. The paper comprises two chapters: Chapter one deals with the relationship between the Qur'ān and the language, while chapter two teats the relationship between the Sunnah and the language.

Citation: Hasan al-KHATTĀF, "Jadal al-Ta'sīr wa al-Ta'assur baina 'ulūmi'l-wahyain wa al-Lugat al-'Arabiyya" (in Arabic), *Hadis Tetkikleri Dergisi (HTD)*, XV/1, 2018, pp. 105-119.

Key words: Tafseer (Interpreation of the Qur'ān), Qirā'at of the Qur'ān, Istiqrā' (induction), narration of Hadīth by meaning and peculiarity of the Hadīth reports.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فقد أرسل الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم رسولا للعالمين، وأنزل عليه القرآن الكريم، بلسان عربي مبين ليدَّبروا آياته ويفهموا مراميه ومقاصده، {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا } [طه: ١١٣] وهذا الإنزال بلسان القوم سنة إلهية ليحصل التبيين {لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ} [النحل: ٣٩].

يقول فخر الدين الرازي:"لما كان المرجع في معرفة شرعنا إلى القرآن والأخبار وهما واردان بلغة العرب ونحوهم وتصريفهم، كان العلم بشرعنا موقوفا على العلم بهذه الأمور، وما لا يتم

* أستاذ مشارك، عقيدة وعلم الكلام، جامعة آرتقلو ماردين، تركيا، khattaf72@gmail.com

الواجب المطلق به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب."[1]

والتبيين والتوضيح متوقف على العربية وعلومها ومن هنا كانت العربية شرطا لازما لفهم المصدرين الكتاب والسنة، وما تفرع عنهما من علومٍ.

ولن نقف عند هذه العلوم جميعها بل سنقف عند علمين تأثَّرا بالعربية وأثَّرا فيها، وهما علوم القرآن الكريم وعلوم السنة النبوية، والمقصود بعلوم القرآن التفسير، وبعلوم السنة ما يتصل بها من مصطلح الحديث وشروحه وغريب ألفاظه.

ولم أجد دراسةً جمعت بين هذه العلمَين وبين العربية تأثيرا وتأثُّرا وهذا ما قصدته بالجدل، وبإبراز ذلك تظهر لنا أهمية البحث وسبب الاختيار، وزيادة على ما تقدم نقصد من وراء ذلك دفع الدَّارسين إلى الاهتمام بالعربية كونها جُزءا من الدين، نفهم من خلالها الدين، وتجمعُ المسلمين في لسانٍ واحد، وهذا ما يُفسِّر لنا اهتمام غير العرب باللغة وبروزهم فيها.

وطبيعة الدراسة كانت عبارة عن مبحثين: خصصتُ المبحث الأول للجدل بين اللغة وعلوم القرآن، والمبحث الثاني كان للجدل بين اللغة وعلوم السُّنة.

وقد سلكتُ المنهج المقارن بين كتب اللغة، وبين كتب التفسير والحديث، مُبيِّنا أُوجه التأثير والتَّأثُّر، معتمدا على أبرز كتب اللغة والتفسير والحديث.

وسبب الاقتصار على هذين العِلمَين أني كتبتُ بحثين منفصلين آخرين: الأول عن جدل اللغة مع علم الكلام تأثيرا وتأثُّرا، والثاني عن جدل اللغة مع أصول الفقه تأثيرا وتأثُّرا.

وأكثر ما برز تأثير علوم الوحيَين في العربية من جهة البحث والاستنباط والاستقراء كما سنرى وسلم.

المبحث الأول: جدل علوم القرآن مع اللغة

لانقصد بكلمة علوم القرآن ما شاع عند المعاصرين من الحديث عن ناسخ القرآن ومنسوخه وسبب نزوله... بل نقصد تفسير القرآن بالدرجة الأولى الذي هو علم من علوم القرآن وجزء منه، بالإضافة إلى القراءات فهو من باب ذكْر العام وإرادة الخاص.

يبين الشاطبي أهمية اللغة في فهم القرآن معاني القرآن وبيان أحكامه بقوله: "فإن قلنا: إن القرآن نزل بلسان العرب وإنه عربي وإنه لا عُجمة فيه، فبمعنى أنه نُزِّلَ على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها...فكما أنَّ لسان بعض الأعاجم، لا يمكن أن يُفهم من جهة لسان العرب، كذلك لا يمكن أن يُفهم لسان العرب من جهة فهم لسان العجم، لاختلاف الأوضاع والأساليب، والذي نبه على هذا المأخذ في المسألة هو الشافعي الإمام، في رسالته الموضوعة في

[1] محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ، المحصول، تح: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م. ١/ ٢٠٣.

أصول الفقه."[٢]

والمقصود بكون القرآن الكريم عربيًّا أنه عربيٌّ لفظًا ومعنى، بمعنى أنه لا يمكن أن يُؤخذ منه من المعاني إلّا ما يقتضيه كلام العرب؛ إذ المعنى تابع لِلَّفْظِ وهو مدلوله، ولا يوصف الكلام بكونه عربيًّا لمجرد موافقة رسمه رسمَ الخط العربي.

وإذا كان فهم المعنى من القرآن متوقفا على اللغة العربية، وفهم القرآن واجب علينا، كانت العربية واجبة وحقا من حقوق الله تعالى، وقد صرّح بهذا العز بن عبد السلام عندما جعل معرفة اللغة العربية من حقوق الله تعالى على العباد، وذلك لتوقُّف فهم خطاب الله تعالى وخطاب رسوله صلى الله عليه وسلم على اللغة العربية[٣].

وقد ذكر جلال الدين السيوطي شروطا للمفسر وجعل منها العربية بلغتها ونحوها وتصريفها شرطا لازما للمفسر، يقول السيوطي:" يجوز تفسيره لمن كان جامعا للعلوم التي يحتاج المفسر إليها وهي خمسة عشر علما:أحدها: اللغة لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع ...الثاني: النحو لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب ...الثالث: التصريف لأن به تعرف الأبنية والصيغ."[٤]

ومعنى هذا أنّ المعاني اللغوية والتراكيب النحوية، والتَّصريف وأبوابه وعلوم البلاغة من المعاني والبيان والبديع لابدّ منها للمفسر.[٥]

ولا فرق في هذا بين قولنا إن اللغة شرط أو أداة لفهم مراد الله تعالى كما عبَّر عن ذلك الشاطبي في موافقاته.[٦]

---

[٢] إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان،ط. دار ابن عفان،الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. ١٠٤/٢.

[٣] انظر: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، الملقب بسلطان، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تح: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، ١٩٩١ م، ص ٢٠٥.

[٤] عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب،الطبعة: ١٩٧٤م. ٢١٣/٤.

[٥] يقول المفسر محمد الطاهر بن عاشور:" أما العربية فالمراد منها معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم...إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي بالسليقة، ويعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي: متن اللغة، والتصريف، والنحو، والمعاني، والبيان، ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائه... وَلِعِلْمَيِ الْبَيَانِ وَالْمَعَانِي مَزِيدُ اخْتِصَاصٍ بِعِلْمِ التَّفْسِيرِ لِأَنَّهُمَا وَسِيلَةٌ لِإِظْهَارِ خَصَائِصِ الْبَلَاغَةِ الْقُرْآنِيَّةِ... فَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِمَنْ تَعَاطَى التَّفْسِيرَ وَهُوَ فِيهِمَا رَاجِلٌ"محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، المجلد الأول، ص. ١٩.

[٦] يقول الشاطبي:"الْعُلُومُ الْمُضَافَةُ إِلَى الْقُرْآنِ تَنْقَسِمُ عَلَى أَقْسَامٍ: قِسْمٌ هُوَ كَالْأَدَاةِ لِفَهْمِهِ وَاسْتِخْرَاجِ مَا فِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ، وَالْمُعِينِ عَلَى مَعْرِفَةِ مُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُ؛ كَعُلُومِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ التي لا بد مِنْهَا " الشاطبي، الموافقات:٤ /١٩٨.

وليست فائدة اللغة قاصرةً على فهم معاني كلام الله تعالى وبيان أحكامه، بل من فوائدها منع العبث والتلاعب في كتاب الله تعالى، ولاسيما التأويل الباطني لنصوص القرآن الكريم حيث جعل الشيعة الروافض ثلثي القرآن الكريم نازلا في آل البيت، ومن العبث القبيح ما قاله بيان بن سمعان رئيس فرقة البيانية وهي من الفرق المغالية من الشيعة أنه المعني بقول الله تعالى:{هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ } [آل عمران: ١٣٨].[٧]

ومن تلك التأويلات المنحرفة ما قام به المغيرة بن سعيد العجلي رئيس فرقة المُغيرية الشيعية من تأويل قول الله تعالى {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } [الحشر: ١٦] حيث حمل معنى الشيطان على الفاروق عمر رضي الله عنه.[٨]

ومن هذا القبيل توجُّه الشيعة الإمامية الإثنا عشرية في سعيهم لجعل الإمام ركنا من أركان الدين، " بحيث لا يصلح إيمان المرء إلا إذا حصل ذلك... ثم أخذوا يُنزلون نصوص القرآن على ما قرروه، بل وزادوا على ذلك فقالوا: إن كل آيات المدح والثناء وردت في الأئمة ومَن والاهم، وكل آيات الذم والتقريع وردت في مخالفيهم وأعدائهم...ولقد كان من أثر زعمهم أن القرآن جُلّه أو كُلّه وارد في أئمتهم ومَن والاهم، وفى أعدائهم ومَن وافقهم"[٩]

ولاشك أنَّ هذا الحمل عبثٌ تدفعه العقيدة المعادية لكبار الصحابة كأبي بكر وعمر رضي الله عنهم، وهذا الفهم للآيات هو رميٌ لنصوص اللغة العربية.

فالعربية ضابط للفهم الصحيح للقرآن الكريم، ومن هنا كانت لهذا هذه المكانة، ويكفي دليلا على مكانة اللغة العربية في فهم كتاب الله تعالى أنّ "أَهْلَ الْعَرَبِيَّةِ يَحْكُونَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَيْهِ بِوَضْعِ شَيْءٍ فِي النَّحْوِ حِينَ سَمِعَ أَعْرَابِيًّا قَارِئًا يَقْرَأُ: أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ؛ بِالْجَرِّ... وَأَمَرَ أَبَا الْأَسْوَدِ، فَوَضَعَ النَّحْوَ."[١٠]

ومن الثابت أنّ موافقة العربية هو ضابط لمعرفة القراءة المقبولة عن الشاذة فـ" كل قراءة وافقت العربية ولو بوجهٍ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردُّها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة

---

[٧] علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل،مكتبة الخانجي – القاهرة، ١٤١/٤.

[٨] انظر: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل، الناشر: مؤسسة الحلبي الملل والنحل ،ص.١٧٧.

[٩] محمد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٦/٢.

[١٠] الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الاعتصام، تح: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير،دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ص ٣٣٩.

المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف."[١١]

نماذج من أثر اللغة في اختلاف المفسرين

النموذج الأول

مثال ذلك (الواو) في قوله سبحانه {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)} [آل عمران: ٧] **هل هي للعطف أو الاستئناف؟**

فالزجاج وهو من كبار اللغويين يرى أن الوقف التام عند قوله: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} [آل عمران: ٧].[١٢] ومعنى هذا أنَّ(الراسخون) استئناف وليس عطفا،وهذا المعنى هو الذي رجَّحه الأصفهاني.[١٣]

وقد ذكر الطبري القولين ورجَّح الوقف لأن(الراسخون)" لا يعلمون تأويل المتشابه الذي ذكره الله عز وجل في هذه الآية."[١٤]

بينما رأى الزمخشري المعتزلي أن الأولى هو العطف وليس الاستئناف يقول الزمخشري:" أي لا يهتدى إلى تأويله الحق الذي يجب أن يحمل عليه إلا اللَّه، وعباده الذين رسخوا فى العلم... ومنهم من يقف على قوله إلا اللَّه، ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون...والأوّل هو الوجه."[١٥]

النموذج الثاني

معنى الباء الواردة في قوله تعالى {وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ} [المائدة: ٦].

اختلف المفسرون في معنى الباء وهذا الاختلاف راجع إلى تأثير اللغة في التفسير، فمن

---

[١١] محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، النشر في القراءات العشر،تح: علي محمد الضباع، ط. المطبعة التجارية الكبرى، ص ٩.

[١٢] إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه،تح: عبد الجليل عبده شلبي،الناشر: عالم الكتب – بيروت،ط. الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م،ص ٣٧٨.

[١٣] الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تفسير الراغب الأصفهاني،تح: محمد عبد العزيز بسيوني، ط. كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٩٩٩ م، المجلد الثاني،ص ٤٢٤.

[١٤] محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر،الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠ م، المجلد السادس، ص ٢٠٤.

[١٥] محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،،دار الكتاب العربي – بيروت، ط. الثالثة - ١٤٠٧ هـ، المجلد الأول، ص ٣٣٨.

المفسـرين من جعل الباء زائدة ويكون المعنى وامسـحوا رؤوسـكم، ومنهم من جعل الباء للتبعيض ومنهم من جعلها للإلصاق وهؤلاء لايشترطون تعميم الرأس في المسح[١٦].

وأصل الاختلاف في ذلك يرجع إلى المعاني اللغوية، فالباء لغة يصح أنْ تكون بهذه المعاني،[١٧] وقد لهذا الاختلاف اللغوي أثره في التفسير وفي الفقه.[١٨]

المبحث الثاني: جدل علوم الحديث مع اللغة

للغة العربية مكانة سامية في علوم الحديث ولنأخذ من ذلك النماذج التالية:

١.مباحث غريب الحديث

من ذلك أنّ المحدثين خصـصـوا مبحثا كاملا للحديث الغريب، وهو البحث فى الكلمة الغريبة لمعرفة معناها اللغوي يقول السـيوطى:" النَّوْعُ الثَّانِى وَالثَّلَاثُونَ:غَرِيبُ الْحَدِيثِ، هُوَ مَا وَقَعَ فِى مَتْنِ الْحَدِيثِ مِنْ لَفْظَةٍ غَامِضَةٍ بَعِيدَةٍ مِنَ الْفَهْمِ لِقِلَّةِ اسْتِعْمَالِهَا. وَهَوَ فَنٌّ مُهِمٌّ. وَالْخَوْضُ فِيهِ صَعْبٌ. فَلْيَتَحَرَّ خَائِضُهُ، وَكَانَ السَّلَفُ يَتَثَبَّتُونَ فِيهِ أَشَدَّ تَثَبُّتٍ. وَقَدْ أَكْثَرَ الْعُلَمَاءُ التَّصْنِيفَ فِيهِ."[١٩]

ولاشـكّ أنَّ هذا يحتاج إلى اللغة، ويمكن أنْ نأخذ مثالا على ذلك كتاب الفائق فى غريب الحديث للزمخشري المعتزلى وهو كتاب ضخم حوى المئات من الأحاديث، قد سلك الزمخشري – من حيث نضد المادة ورصفها – منهجا يقوم على ترتيب الكلمات الغريبة، وفقا لحروف المعجم فهو يذكر مثلا حرف الهمزة مع الباء، ثم الهمزة مع التاء حتى يأتي على كل الحروف، ثم يتنقَّل إلى حرف الباء مع الهمزة، وهكذا دواليك.

و الغرض الأصـلي من تصـنيف "الفائق" محصـورٌ في كشـف الألفاظ الغريبة في الحديث الذي

---

[١٦] انظر في هذه المعاني: الكتاب: أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير،تح: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر :١٩٠/٤، مكي بن أبي طالب القيرواني، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه،تح : مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الاسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ١٦٢٢/٣، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، :تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ ، ٤/ ٢٧.

[١٧] انظر: عبد الملك بن محمد الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية،تح: عبد الرزاق المهدى، إحياء التراث العربي، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م ، ص.٢٤٢، حسن بن قاسم المرادى، الجنى الدانى فى حروف المعاني، تح: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م، ص.٤٣.

[١٨] انظر: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى: ١٩٧٣ – ١٩٩٣ م، ١٠٢٤/٢.

[١٩] عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي،تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي،تح: محمد عوامة،دار اليسر ودار المنهاج، ط.الأولى:٢٠١٦م.، ٦٥/٥-٦٦.

يورده،وإزالة الغموض عنه،[٢٠] معتمدا في ذلك على زادٍ لغوي وبلاغي، من ذلك قوله في باب "الهمزة مع الراء"« "إن الإسلام ليأْرز إلى المدينة،كما تأْرِزُ الحية إلى جحْرها"٢١،أي تنضوي إليه، وتنضم،ومنه الأَروز للبخيل المنقبض،وعن أبي الأسود الدؤلي :إن فلانا إذا سئل أَرَزَ، وإذا دعي انتهز، وروي اهتزّ.»[٢٢]

ومن ذلك أيضا نجده في باب "الشين مع الظاء" يذكر حديثا« يعجب ربك من راعٍ في شظيّةٍ يؤذن ويقيم الصلاة.»[٢٣]

ثم قال مفسرا لفظة "شظية" «الشَّظيّ والشِّنْظِيّة:فِنْديرة من فنادير الجبال،وهي قطعة من رؤوسها،والنون في شِنْظية مزيدة، بدليل أنها لم تثبت في شظية،ووزنها[وزن شِنْظية] فِنْعلة،ولأن اشتقاقها من التشظّي، وهو التشعب،لأنها شعبة من الجبال.»

ثم قال مباشرة:« فانشظَّتْ رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم،[٢٤] أي انكسرت، وتشظَّى وانشظى بمنزلة تشعَّب وانْشَعب، ويقال انشظى فلان منا،أي انشعب."[٢٥]

من الواضح أنَّ الكشف عن المعاني الغريبة في الحديث، يحتاج إلى درايةٍ في اللغة، ومعرفةٍ بمظانَّ وجود الكلمة في الحديث، وهذا ليس ببعيد عن الزمخشري صاحب الأساس في اللغة، والمفصل في النحو،والكشاف في التفسير الذي يعد مثالا للتفاسير القائمة على البلاغة واللغة.

---

[٢٠] يقول ابن حجر العسقلاني : « فإن خفي المعنى بان كان اللفظ مستعملا بقلّة احتيج إلى الكتب المصنفة في شرح الغريب ككتاب أبي عُبيد القاسم بن سلاَّم ... وللزمخشري كتاب اسمه الفائق حَسَن الترتيب" أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر،تح: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي،ط. مطبعة سفير بالرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، ص ٢٣٠.

[٢١] رواه البخاري بلفظ "الإيمان بدل الإسلام"، البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الإيمان يأرز إلى المدينة، رقم:١٨٧٦، ورواه أحمد بذات اللفظ الذي رواه الزمخشري، مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، باقي مسند أبي هريرة،رقم: .٧٨٤٦.

[٢٢] محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري ، الفائق في غريب الحديث، تح:علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت،ط.الثالثة:١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ١/٣٣.

[٢٣] أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، سنن النسائي،تح: عبد الفتاح أبو غدة،ط. مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب،الطبعة: الثانية، ١٤٠٦–١٩٨٦، كتاب الأذان،باب الأذان لمن يصلي وحده،رقم:٦٦٦،سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، سنن أبي داود، تح:محمد محيي الدين عبد الحميد،الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت،ط. الأولى، ١٩٩٢م، كتاب الصلاة باب الأذان في السفر،رقم: ١٢٠٣.

[٢٤] لم أجد الحديث –في المصادر التي وقعت بين يدي- باللفظ الذي ذكره الزمخشري "فانشظَّت رباعيته" وإنما ورد بلفظ "كُسرت رباعيته"،والحديث رواه مسلم بهذا اللفظ« عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ، كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ(١٢٨)﴾ [آل عمران]، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي،ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت،،كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، رقم:١٧٩١.

[٢٥] انظر ما نقلناه عنه في باب"الشين والظاء" الفائق:٢/٢٤٦-٢٤٧.

٢.رواية الحديث بالمعنى

قد لايكون الشّخص حافظا للحديث فيؤدي معناه من غير خلل، فهذا جائز عند المحدثين، يقول ابن رجب:" ما زال الحفاظ يحدثون بالمعنى وإنما يجوز ذلك لمن هو عالم بلغات العرب بصير بالمعاني عالم بما يحيل المعنى، وما لا يحيله. نص على ذلك الشافعي."[٢٦]

أمَّا إنْ غيّر فى المعنى فإنه يقع فى المحظور وتحُرم عليه رواية المعنى ومن أمثلة ذلك ماذكره الحافظ ابن رجب:" وروى بعضهم حديث "إذا قرأ" يعني الإمام "فأنصتوا" بما فهمه من المعنى، فقال: إذا قرأ الإمام " (ولا الضالين) فأنصتوا، فحمله على فراغه من القراءة، لا على شروعه فيها."[٢٧]

أي أنَّ إنصات المأموم صار عند الفراغ من قراءة الإمام، بينما الإنصات الوارد فى الحديث عند شروع الإمام وليس عند فراغه من القراءة، وهذا ماجاء في سنن ابن ماجه "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، " إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا قَرَأَ فَأَنْصِتُوا، وَإِذَا قَالَ: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: ٧]، فَقُولُوا: آمِينَ، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا، فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعِينَ."[٢٨]

وعليه فإنّ من شروط الرواية بالمعنى أنْ يكون عالما بما يُغيّر المعنى، وتغيير المعنى مرتبط بالألفاظ يقول ابن الصلاح:" إذا أراد رواية ما سمعه على معناه دون لفظه: فإن لم يكن عالما عارفا بالألفاظ ومقاصدها، خبيرا بما يحيل معانيها، بصيرا بمقادير التفاوت بينها، فلا خلاف أنه لا يجوز له ذلك، وعليه أن لا يروي ما سمعه إلا على اللفظ الذي سمعه من غير تغيير، فأما إذا كان عالما عارفا بذلك، فهذا مما اختلف فيه السلف، وأصحاب الحديث...والأصح: جواز ذلك في الجميع، إذا كان عالما بما وصفناه قاطعا بأنه أدى معنى اللفظ الذي بلغه."[٢٩]

فتأدية المعنى مرتبط باللغة

ومن أجل هذا يرى المحدثون أنه "على طالب الحديث أن يتعلم من النحو، واللغة ما يتخلص به

---

[٢٦] شرح علل الترمذى،ج١ص ٤٢٧، يقول السخاوى: (فَالْمُعْظَمُ) مِنْهُمْ (أَجَازَ) لَهُ الرِّوَايَةَ (بِالْمَعْنَى) إِذَا كَانَ قَاطِعًا بِأَنَّهُ أَدَّى مَعْنَى اللَّفْظِ الَّذِي بَلَغَهُ...دُونَ التَّجَوُّزِ فِيهِ وَالِاسْتِعَارَةِ" محمد بن عبد الرحمن السخاوي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تح:عبد الكريم بن عبد الله، ومحمد بن عبد الله، مكتبة دار المنهاج، الرياض،١٤٣٦هـ،ج٣ص١٣٨.

[٢٧] زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، شرح علل الترمذي، تح: همام عبد الرحيم سعيد،ط. مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن،الطبعة: الأولى: ١٩٨٧م،ج١ص٤٢٨.

[٢٨] محمد بن يزيد القزويني، ابن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،الناشر : دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي،، كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا، بَابُ إِذَا قَرَأَ الْإِمَامُ فَأَنْصِتُوا، رقم:٨٤٦.

[٢٩] عثمان بن عبد الرحمن، أبوعمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح،تح: نور الدين عتر،الناشر: دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت، ١٩٨٦م، ص: ٢١٣.

من شين اللحن، والتحريف."[٣٠]

٣.بناء المصطلحات الحديثية على المعاني اللغوية

ينبغي أنْ تستند مصطلحات المحدثين على المعنى اللغوي، وفي حال تعذَّر ذلك يشير المحدثون إلى خلل فى المصطلح، من ذلك مصطلح (المعضل) وهو الذي سقط من سنده راويان فأكثر، يقول ابن الصلاح:" وَهُوَ عِبَارَةٌ عَمَّا سَقَطَ مِنْ إِسْنَادِهِ اثْنَانِ فَصَاعِدًا وَأَصْحَابُ الْحَدِيثِ يَقُولُونَ: أَعْضَلَهُ فَهُوَ مُعْضَلٌ - بِفَتْحِ الضَّادِ -. وَهُوَ اصْطِلَاحٌ مُشْكِلُ الْمَأْخَذِ مِنْ حَيْثُ اللُّغَةُ، وَبَحَثْتُ فَوَجَدْتُ لَهُ قَوْلَهُمْ: (أَمْرٌ عَضِيلٌ)، أَيْ مُسْتَغْلِقٌ شَدِيدٌ."[٣١]

وقد كان تأثير النحويين واللغويين بعلم الحديث واضحا في استخدامهم لكثير من المصطلحات وذلك من أمثال:الجرح ،والتعديل، السَّفه، الغفلة، الكذب، الشذوذ، التصحيف،التحريف، الغريب، المُستَخرج، المستدرَك، السماع، التحديث، الإجازة.. فهذه المصلحات لها أبعاد لغوية، وقد ذكر السيوطي في مقدمة المُزهر حيث يقول:"هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه واخترعت تنويعه وتبويبه وذلك في علوم اللغة وأنواعها وشروط أدائها وسماعها حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع وأتيت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع."[٣٢]

وبالرجوع إلى كتب المزهر للسيوطي نجد جدلية تأثير الحديث في اللغة واضحا، فأبرز ما جاء من ترتيب وتبويب جاء متماشيا مع منهج المحدثين وخطتهم في التأليف.

ومن المعلوم أنَّ السوطي اشتهر في علومٍ عدة ومن أبرزها علوم الحديث، وعليه يمكن لنا أنْ نقارن بين كتابيه: المزهر وتدريب الراوي، ويُعَدُّ كتاب تدريب الراوي من أوسع كتب مصطلح الحديث.

من الأبواب التي ذكرها السوطي في المزهر: معرفة المتواتر والآحاد، معرفة المرسل والمنقطع، معرفة الأفراد ، معرفة من تُقبَل روايته ومن تُرَد، طرق الأخذ والتّحمل،القراءة على الشيخ، السماع من الشيخ ، الإجازة، وهذا بعض مما ذكرناه ولم نستوفيه.[٣٣]

وعند الرجوع إلى كتاب تدريب الراوي نجد هذه المصطلحات بذات التسمية.[٣٤]

---

[٣٠] مقدمة ابن الصلاح ،ص: ٢١٧-٢١٨. وانظر: محيي الدين يحيى بن شرف النووى ، التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث،تح: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ص٧٥.

[٣١] مقدمة ابن الصلاح، ص٥٩.

[٣٢] عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور،ط. دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م :١/٧.

[٣٣] انظر: السوطي، المزهر، ص.٨٨، ٩٦، ١٠٠، ١٠٧، ١١٣، ١٢٤، ١٢٧.

[٣٤] انظر عللا سبيل المثال: السيوطي، تدريب الراوي ١٧٦/٣، ٤/٣،٢٧٣، ٥/٤، ٢٠٣/٤، ٤١٠/٤، ٣٠/٥، ٥٤١/٥.

٤. تصحيح ما يُشكل في الحديث على ضوء اللغة

هذا باب واسع وقد لجأ إليه المحدثون لإزاحة ما يُشكل على من يتصور وهما أو إشكالا في الحديث او انتقاصا من بعض الصحابة لبعضهم أو تناقضا بين الأحاديث...

من ذلك : ما جاء في حديث رفاعة القرظي أنه" طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَبَتَّ طَلاَقَهَا »[٣٥] فما معنى بتّ وهل هناك روايات أخرى؟

يقول الحافظ العراقي:" قوله فبَتَّ طلاقها، هو بتشديد المثناة من فوق أي طلقها ثلاثا، وأصل البت القطعُ، وهكذا رواه الجمهور، وفي رواية للنسائي (فأَبَتَّ) رباعي، وهي لغة ضعيفة حكاها الجوهري عن الفراء، وحكى عن الأصمعي إنكارها"[٣٦].

ومن ذلك شرح معنى (تَرِبَتْ) الواردة في حديث " تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ[٣٧] "

يقول البطليوسي:" ومعنى " تربت " عند قوم من الفقهاء: استغنت، وهذا خطأ عند أهل اللغة، لأنه إنما يقال في الغنى: أترب وأما ترِب فلا يقال إلا في الفقر."[٣٨]

٥.الاحتجاج بالحديث في ترجيح بعض المعاني اللغوية

والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما جاء في صحيح البخاري كمن زواج النبي صلى الله عليه وسلم صفية "وَجَعَلَ صَدَاقَهَا عِتْقَهَا " فَقَالَ عَبْدُ العَزِيزِ، لِثَابِتٍ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَنْتَ سَأَلْتَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ: مَا أَمْهَرَهَا؟ قَالَ: أَمْهَرَهَا نَفْسَهَا"[٣٩]

---

[٣٥] الحديث كاملا:"عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رِفَاعَةَ القُرَظِيَّ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَبَتَّ طَلاَقَهَا، فَتَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الزَّبِيرِ، فَجَاءَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ص:٢٣] فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رِفَاعَةَ فَطَلَّقَهَا آخِرَ ثَلاَثِ تَطْلِيقَاتٍ، فَتَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الزَّبِيرِ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا مَعَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ هَذِهِ الهُدْبَةِ، لِهُدْبَةٍ أَخَذَتْهَا مِنْ جِلْبَابِهَا، قَالَ: وَأَبُو بَكْرٍ جَالِسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَابْنُ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ جَالِسٌ بِبَابِ الحُجْرَةِ لِيُؤْذَنَ لَهُ، فَطَفِقَ خَالِدٌ يُنَادِي أَبَا بَكْرٍ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلاَ تَزْجُرُ هَذِهِ عَمَّا تَجْهَرُ بِهِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يَزِيدُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى التَّبَسُّمِ، ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّكِ تُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ، لاَ، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ، وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ» البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، صحيح البخاري ، كتاب اللباس، باب التبسم والضحك، رقم: ٦٠٨٤.

[٣٦] العراقي، عبد الرحيم، طرح التثريب في شرح التقريب:٧/ ٩٦. وهذه الرواية موجودة في سنن النسائي الكبرى، واللفظ " : جَاءَتِ امْرَأَةُ رِفَاعَةَ الْقُرَظِيِّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنَّ زَوْجِي طَلَّقَنِي، فَأَبَتَّ طَلَاقِي..." النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى ، كتاب الطلاق، باب إحلال المطلقة ثلاثا، إحلال المطلقة ثلاثا، والنكاح الذي يحلها لمطلقها، رقم: ٥٥٧٤

[٣٧] مسلم، صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب نكاح ذات الدين، رقم: ١٤٦٦

[٣٨] عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، مشكلات موطأ مالك بن أنس،تح: طه بن علي بو سريح التونسي،الناشر: دار ابن حزم - لبنان / بيروت،الطبعة: الأولى: ٢٠٠٠م ، ص.٦٨.

[٣٩] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، بَابُ التَّكْبِيرِ وَالغَلَسِ بِالصُّبْحِ، وَالصَّلاَةِ عِنْدَ الإِغَارَةِ وَالحَرْبِ رقم:

يقول بدر الدين العيني:" قوله: (ما أمهرها) قال ابن الأثير: يقال: مهرت المرأة وأمهرتها إذا جعلت لها مهرا، وإذا سقت إليها مهرا، وهو: الصَداق: وقال الشيخ قطب الدين الحلبي في (شرحه) : صوابه مَهَرَها يعني بحذف الألف، وبخط الحافظ الدمياطي، مثل ما قاله ابن الأثير، وأنكر أبو حاتم: أمهرت، إلا في لغة ضعيفة، والحديث يرد عليه."[٤٠]

ومن هذا القبيل ما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا."[٤١]

فهل يجوز لغة أنْ يُقال أشر؟ يقول القاضي عياض:" قوله: " من أشر الناس ": أهل النحو يأبون أن يقال: فلان أشر أو أخير من فلان، وإنما يقال: شرٌ وخيرٌ، وهو مشهور كلام العرب عندهم... وقد جاءت الأحاديث الصحيحة باللفظين على وجهها، وهى حُجة عليهم باستعمال الوجهين."[٤٢]

ومن ذلك أيضا ما جاء في حدث ابن عباس وهو يصف حال النبي صلى الله عليه وسلم:"الاستقراء : ثم نام، حتى سمعت غطيطه أو خطيطه."[٤٣]

يقول ابن بطال:" الغطيط - صوت النائم... أو خطيطه - شك من المحدث، ولم أجدها عند أهل اللغة بالخاء."[٤٤]

وهذا يدل على الاعتماد على اللغة في تصحيح الرواية، إذ ليس في كتب اللغة الخطيط كحالة من حالات النوم.[٤٥]

٦. استقراء اللغة من قِبَل المحدثين

من مواضع الجدل بين اللغة والحديث هو قضية الاستقراء اللغوي التي قام بها المحدثون، وهذا فيه إضافة وتأثير من قبل المحدثين على ما هو عند اللغويين من المتقدمين كالأزهري وابن فارس، فالدّافع الدِّيني لفهم الحديث والذب عنه جعل المحدثين يستقرؤون الألفاظ بحثا عن معانيها الدقيقة،

٩٤٧.

[٤٠] محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين العينى العيتابى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت: ٢٦٦/٦.

[٤١] صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم إفشاء سر المرأة، رقم: ١٤٣٧

[٤٢] القاضي عياض، بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، إكمال المعلم بفوائد مسلم مُسْلِم ، تح:الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، ٦١٤/٤.

[٤٣] البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب السمر في العلم، رقم: ١١٧.

[٤٤] ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخار لابن بطال،تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م . ١٩٣/١.

[٤٥] يقول الثعالبي:" الفخيخ صوت النائم. وأرفع منه البخيخ. وأزيد منه الغطيط. وأشد منه الجخيف" الثعالبي،عبد الملك بن محمد، فقه اللغة وسر العربية،تح: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ص ١٤٩.

وهذا كثير عند المحدثين، وهو موطنٌ بارز في تأثير الحديث على اللغة.

مظان ذلك موجود في كتب شـــروح الحديث والكتُب اللغوية الباحثة عن معاني غريب الحديث النبوي.

كما أنَّ هذا الصـــنيع موجود في بعض الكُتُب التي اهتمّت بالدفاع عن الحديث النبوي ضـــد المعتزلة، ككتاب مشكل الحديث وبيانه لابن فُوْرَك.

من ذلك استقراء كلمة النزول في اللغة العربية من قبل ابن فورك عند حديث البخاري" يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ."[٤٦]

فالنزول عنده لا ينبغي أنْ يكون نزولا كشـــأن نزول الأجســـام الذي هو انتقال وحركة؛ وذلك لاستحالة وصف الله تعالى بذلك.

فالنزول في اللغة من الألفاظ المشتركة، ويأتي على معاني عدة:

١. بمعنى الانتقال والتحويل، ويكون في الأجسام، ومثل هذا قوله سبحانه {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا} [الفرقان: ٤٨].
٢. بمعنى الإعلام كقوله عز وجل { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ } [الشعراء: ١٩٣] أي أعلم به الروح الأمينُ محمدا صلى الله عليه وسلم.
٣. بمعنى القول والعبادة، كقوله سبحانه {سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} [الأنعام: ٩٣] .
٤. بمعنى الإقبال على الشيء، وذلك هو المستعمل في قولهم، والجاري في عرفهم وهو أنهم يقولون إن فلانا أخذ بمكارم الأخلاق ثم نزل منها إلى سفافها، أي أقبل منها إلى رديئها، ومثله في نقصان الدرجة والمرتبة ، ومن ذلك قول الناس نزلت منزلة فلان عن فلان عما كانت عليه إلى ما دونها إذا انحط قدره عنده.
٥. بمعنى نزول الحكم، من ذلك قول الناس: قد كنا في عدل وخير، حتى نزل بنا بنو فلان إلى حكمهم، وكل ذلك في معنى النزول متعارف بين أهل اللغة غير مرفوع عندهم اشتراك معناه.

وإذا كانت اللغة تقبل هذه المعاني فلا يجوز أنْ يُحمل النزول في الحديث بمعنى الانتقال والتّحول الذي هو من صفة الأجسام.[٤٧]

وما قام به ابن فورك في ضبط معاني النزول لانجده بهذا التفصيل عند اللغويين المُتقدمين،فأوسع من تعرض لهذا أحمد بن فارس وسأنقل ما أراه مُتَّصلا بالأمر ليتبين لنا كيف قام ابن فورك بضبط

---

[٤٦] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل،رقم: ١١٤٥

[٤٧] انظر: محمد بن الحسن الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر ابن فورك ، مشكل الحديث وبيانه، تح: موسى محمد علي،الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٥م، ص ٤٧٠-٤٧٣.

وحصر معاني النزول على وجه لم يقم به اللغويون.

يقول ابن فارس:" (نزل) النون والزاء واللام، كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه، ونزل عن دابته نزولا، ونزل المطر من السماء نزولا، والنازلة: الشديدة من شدائد الدهر تنزل. والنزال في الحرب: أن يتنازل الفريقان... والنُّزل: ما يهيأ للنزيل. وطعام ذو نزل ونزل، أي ذو فضل. ويعبرون عن الحج بالنزول."[٤٨]

ماذكره ابن فارس لايتجاوز معنيين: المعنى المادي للأجسام، والمعنى المعنوي المتمثل بالمصائب.

والجوهري ذكر ثلاثة معانٍ هي :المرتبة، الحلول والتنقل، المصائب،[٤٩] وأما الأزهري صاحب تهذيب اللغة فلم يتعرض لها.[٥٠]

وقد فصَّل هذه المعاني ابن منظور المتوفى[:٧١١ه] لكنه من المتأخرين، والمتأخرون من اللغويين لم ينطلقوا من المعاني اللغوية، وإنما تأثروا بكلام المتكلمين والمحدثين، فأثر العقيدة كان واضحا عند حديثهم للمعاني اللغوية.

ودليلنا على هذا أنه كان متأخرا كما أنه كان متأثرا بعلم الكلام، ففي هذه المسألة ذكر معاني النزول، ونفى أنْ يكون النزول بالمعنى المادي، يقول ابن منظور:"؛ النزول والصعود والحركة والسكون من صفات الأجسام، والله عز وجل يتعالى عن ذلك ويتقدس، والمراد به نزول الرحمة والألطاف الإلهية وقربها من العباد، وتخصيصها بالليل وبالثلث الأخير منه لأنه وقت التهجد وغفلة الناس عمن يتعرض لنفحات رحمة الله، وعند ذلك تكون النية خالصة والرغبة إلى الله عز وجل وافرة، وذلك مظنة القبول والإجابة."[٥١]

وما قام به ابن فورك هو ما تستدعيه سعة اللغة عن هذا الحديث:" ومن المستحيل عليه الحركة والنقلة والتغير، فيبقى ما ورد في هذا فالناس فيه قائلان: أحدهما: الساكت عن الكلام فيه، وقد حكى أبو عيسى الترمذي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف، فهذه كانت طريقة عامة السلف، والثاني: المتأول، فهو يحملها على ما توجبه سعة اللغة، لعلمه بأن ما يتضمنه النزول من الحركة مستحيل على الله سبحانه وتعالى."[٥٢]

والدّافع في البحث عن سعة اللغة وعلاقتها بالنصوص هو الجانب الدِّياني المتمثل بالمحافظة

---

[٤٨] ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تح:عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ٤١٧/٥.

[٤٩] الجوهري، الصحاح، ١٨٢٩/٥.

[٥٠] انظر تهذيب اللغة حيث تعرّض لمعنى نَزَكَ وبعدها انتقل إلى مادة اخرى.

[٥١] ابن منظور، لسان العرب: ٦٥٧/١١.

[٥٢] أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تح: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض: ٣٧٩/٣.

على العقيدة، وحماية أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم من أنْ تُفْهَم بعيدا عن هذه العقيدة.

الخاتمة

١.بيّنت الدِّراسة تطبيقا عمليا أهمية اللغة في فهم الشريعة، ولهذا السبب كانت اللغة وجهةَ المسلمين من غير العرب، ممن اشتغل بها مماثلا إخوانه العرب أو متجاوزا لهم كسيبويه وابن جني...

٢.الشريعة الإسلامية تقوم على الوحي، والوحي متمثل بكتاب الله تعالى وبسنة نبيه، وفهْم نصوص الوحْيَين، والعمل بأحكامهما يقوم على العربية نحوا وصرفا وبلاغة...وكلما كان الباحثُ في هذين العِلمْين مُتمكِّنا من العربية كلما كان أكثر فهما لنصوصهما.

٣.برز تأثير العربية بشكل جلي في التفسير بالنظر مقابل التفسير بالأثر، وكان على رأس هؤلاء الزمخشري وأبو حيان التوحيدي وابن عطية الأندلسي...كما برز تأثير العربية في غريب الحديث فكان الزمخشري وابن الأثير رأس في هذا.

ومصطلحات علوم الحديث تأثرت بعلوم اللغة من حيث التسميات

٤.بالمقابل كان تأثير العلمين: علم التفسير وعلم الحديث واضحا في العربية من جهة الاستقراء لمدلولات الألفاظ والتّوسع فيها على نحوٍ لم يقُم بها اللغويون، والسبب في هذا الدَّافع الدِّيني في البحث عن معاني الألفاظ، كما أنَّ تأثير علوم الحديث كان جليا من جهة التبويب والتصنيف، وأكثر ما ظهر عند السيوطي في كتابه المُزهر في علوم العربية، وهذا التأثُّر والتَّأثير عملية جدلية قامت بين كل العلوم الإسلامية وبين اللغة، والأساس في هذا هو أنَّ لغة الوحيين عي العربية.

٥.العملية الجدلية التي قامت بين هذين العِلْمَين وبين اللغة كان لها تأثيرها على مستوى الفقه والحكم على الحديث والفهم الصحيح للتفسير، فكم من حديثٍ أو آية صُحِّحَ فهمهُا انطلاقا من المعاني اللغوية والاستقراء فيها.

٦.إذا أردنا أنْ نضبط بدقة الحدود الجدلية في التأثير والتأثُّر بين اللغة وبين العلوم الإسلامية، ومنها هذين العلمَين علينا أنْ نرجع إلى أمهات اللغة في المراحل المُبكِّرة ، أما المراحل المتأخرة ككتاب لسان العرب لابن منظور، فإنَّ أوجه التأثير والتأثُّر قد تختلط علينا، نتيجة تأثُّر اللغوي بتوجُّهه التفسيري أو الحديثي أو العَقَدي.

وفي الختام مما أوصي به ضرورة القيام بدراسةِ الاستقراءِ اللغوي عند المفسرين والمحدثين دراسة مستفيضةً من خلال رسالة جامعية، يُبيَّن فيها أوجه الاتفاق والخلاف بينهم وبين أهل اللغة.

"جَدَل التّأثير والتّأثّر بين علوم الوَحْيَيْن واللغة العربية"

الملخص: أنزل الله تعالى شريعته على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وجعل اللغة العربية طريقا لفهمها، ومن هنا كانت اللغة شرطا لازما لفهم المَصدَرين: الكتاب والسنة، وما تفرع عنهما من علومٍ، ومن هذه العلوم علوم القرآن والسنة، فقد أثّرا في اللغة العربية من جهة التَّتبع والاستقراء، وقد أثّرت العربية بهما فهماً واستنباط وجَدَلا وفقها. وقد جاء البحث إظهارا لهذا التأثير وبيانا لمواطن التّأثّر، مما يترتب عليه دعوة إلى الاهتمام بهذين العِلمَين: علوم القرآن الكريم وعلوم السنة النبوية. والمقصود الأبرز بعلوم القرآن هو التفسير والقراءات، وأما علوم السَّنة فعلى رأسها علم مصطلح الحديث وشروحه وبيان معاني ألفاظه. وقد تمَّ تقسيم البحث إلى مبحثين: المبحث الأول جَدَلُ علوم القرآن مع اللغة ، والمبحث الثاني جدل علوم السَّنة مع اللغة.

عطف: حسن الخطاف، "جَدَل التّأثير والتّأثّر بين علوم الوَحْيَيْن واللغة العربية"، مجلة بحوث الحديث، المجلد السادس عشر، العدد الأول، ٢٠١٨، ص١٠٥-١١٩.

الكلمات المفتاحية: التفسير، غريب الحديث، القراءات، الاستقراء، رواية الحديث بالمعنى.

"'Ulûmu'l-Kur'ân ve 'Ulûmu'l-Hadîs ile Arapça Arasında Etkileme ve Etkilenme Diyalektiği"

Özet: Allah Teâlâ dinini, Hz. Muhammed'e (s.a.v.) indirmiştir, Arapçayı da dinin anlaşılması için bir araç kılmıştır. Bundan dolayı Arapça, Kur'ân-ı Kerîm ve Sünnet-i Seniyye'nin anlaşılması için ve onlardan hareketle ortaya çıkmış ilimleri anlamak için gereklidir. 'Ulûmu'l-Kur'ân ve 'Ulûmu'l-Hadîs bu ilimlerdendir. Bu ilimler araştırma ve inceleme açısından Arapçayı etkilemiştir. Arapça da bu ilimlerden anlamaya, kavramaya, hüküm çıkarmaya ve tartışmaya dayalı olarak etkilenmiştir. Araştırma, bu etkiyi ortaya koymak ve etkileşim alanlarını açıklamak için yapılacaktır. Bu araştırma neticesinde şu iki ilime önem vermek gerekmektedir: 'Ulûmu'l-Kur'ân ve 'Ulûmu'l-Hadîs. 'Ulûmu'l-Kur'ân ile kast edilen tefsîr ve kırâat ilimleridir. 'Ulûmu'l-Hadîsin başında ise hadis ıstılahları ve şerhleri ile lâfızlarının anlamı gelmektedir. Araştırmada bu iki ilim; 'Ulûmu'l-Kur'ân ve 'Ulûmu'l-Hadîs'in her ikisinin Arapça ile karşılıklı etkileşimi konu edilmektedir.

Atıf: Hasen el-KHATTÂF, "Kur'ân-ı Kerîm ve Sünnet-i Nebeviyye Işığında Cihâd ve Terör" (Arapça), *Hadis Tetkikleri Dergisi (HTD)*, XV/1, 2018, ss. 105-119.

Anahtar kelimeler: Tefsîr, Garîbu'l-hadîs, Kırâ'at, Tümevarım, Mana ile Hadis Rivâyeti.